

بحار الأنوار

[104] ذلك فضولا (1)، فعلى قياس ما قالوا يمكن أن يكون المراد بالعقل نور النبي (صلى الله عليه وآله) الذي انشعبت منه أنوار الائمة (عليهم السلام) واستنطقه على الحقيقة أو بجعله محلا للمعارف الغير المتناهية، والمراد بالامر بالاقبال ترقيه على مراتب الكمال، وجذبه إلى أعلى مقام القرب والوصال، وبإدباره إما إنزاله إلى البدن، أو الامر بتكميل الخلق بعد غاية الكمال فإنه يلزمه التنزل عن غاية مراتب القرب بسبب معاشره الخلق، ويؤمى إليه قوله تعالى قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا (2) وقد بسطنا الكلام في ذلك في الفوائد الطريفة. ويحتمل أن يكون المراد بالاقبال الاقبال إلى الخلق، وبالإدبار الرجوع إلى عالم القدس بعد إتمام التبليغ، ويؤيده ما في بعض الاخبار من تقديم الادبار على الاقبال. وعلى التقادير فالمراد بقوله تعالى: ولا اكملك، يمكن أن يكون المراد ولا اكمل محبتك والارتباط بك، وكونك واسطة بينه وبينى إلا فيمن احبه، أو يكون الخطاب مع روحهم و نورهم (عليهم السلام) والمراد بالاكمال إكماله في أبدانهم الشريفة أي هذا النور بعد تشعبه بأي بدن تعلق وكمل فيه يكون ذلك الشخص أحب الخلق إلى الله تعالى وقوله: إياك

(1) بل لانهم تحققوا أولا أن الطواهر الدينية

تتوقف في حجيتها على البرهان الذي يقيمه العقل، والعقل في ركونه واطمينانه إلى المقدمات البرهانية لا يفرق بين مقدمة ومقدمة، فإذا قام برهان على شئ اضطرب العقل إلى قبوله، وثانياً أن الطواهر الدينية متوقفة على ظهور اللفظ، وهو دليل ظني، والظن لا يقاوم العلم الحاصل بالبرهان لو قام على شئ. وأما الأخذ بالبراهين في أصول الدين ثم عزل العقل في ما ورد فيه آحاد الأخبار من المعارف العقلية فليس إلا من قبيل إبطال المقدمة بالنتيجة التي تستنتج منها، وهو صريح التناقض - وإلا الهادي - فإن هذه الطواهر الدينية لو أبطلت حكم العقل لا بطلت أولاً حكم نفسها المستند في حجيتها إلى حكم العقل. وطريق الاحتياط الديني لمن لم يتثبت في الأبحاث العميقة العقلية أن يتعلق بظاهر الكتاب و طواهر الأخبار المستفيضة ويرجع علم حقائقها إلى عز اسمه، ويجتنب الورود في الأبحاث العميقة العقلية إثباتاً ونفياً أما إثباتاً فلكونه مظنة الضلال، وفيه تعرض للهلاك الدائم، وأما نفياً فلما فيه من وبال القول بغير علم والانتصار المدين بما لا يرضى به إلا سبحانه، والابتلاء بالمناقضة في النظر. واعتبر في ذلك بما ابتلي به المؤلف رحمه الله فإنه لم يطعن في آراء أهل النظر في مباحث المبدأ والمعاد بشئ إلا ابتلي بالقول به بعينه أو بأشد منه كما سنشير إليه في موارد، وأول ذلك ما في هذه المسألة فإنه طعن فيها على الحكماء في

قولهم بالمجردات ثم أثبت جميع خواص التجرد على أنوار النبي والائمة (عليهم السلام)، ولم يتنبه أنه لو استحال وجود موجود مجرد غير اﻻ سبحانه لم يتغير حكم استحالته بتغيير اسمه، وتسمية ما يسمونه عقلا بالنور والطينة ونحوهما. ط (2) الطلاق: 11
